ذاكرة عراقية

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

العدد (1420) السنة السادسة الاثنين (26) كانون الثاني 2009

توفيق اجانص * ابراهيم عرب * شفالتو شخصيات بغدادية طريفة ص١٠

فريق القوة الجوية الكروي بعد ولادته ص١١

نساء في حياة الملك فيصل الاول

جميل ابو طبيخ

عندما وصل فيصل الاول الى بغداد لم يكن معه غير عدد من الخدم والعبيد لتدبير شؤون حياته الخاصة، ومن الساعة الاولى تدفقت عليه مشاكل العمل وثقل المسؤولية التي كانت في انتظاره فلم يكن له ديوان ولا بلاط ومستشارون غير مكتب الحاكم السياسي العام السير برسي كوكس، الذي قام المسؤولون فيه وبطريقتهم الخاصة، وبصورة تدريجية وبانتقاء حذر بتوفير الادارة التي يحتاجها، وقد اسندت هذه المسؤولية الى السكرتيرة الشرقية المس كرتورد بيل، التي كانت لولب الادارة البريطانية المدنية في العراق.

وهذه (الانسة) لها سلسلة تكاد تكون مسرحية من العلاقات العاطفية قبل وبعد وصولها الى بغداد، فقد كانت، حينذاك، في خريف عمرها ولاتزال مسحة من الجمال الانكليزي في معالم وجهها، مع جسم نحيل وشعر احمر يمنحها شخصية تلفت النظر، الى جانب براعة في المحادثة التي تسبغ عليها هالة في غاية الجاذبية.

وبمثل تلك الظروف (الوحدانية) التي عاشها فيصل، كانت صلته الروحية قد نمت مع بيل الى علاقة رومانسية عبرت عنها في الكثير من رسائلها الى والدها:

٤ حزيران (يونيو ١٩٢٢)

«ذهبت في الرابعة والنصف لتناول الشاي مع الملك، وانا عازمة على ان افضي اليه على نحو حاسم بجميع ماكان يدور في خلدي.. اتمنى ان اكون قادرة على رسم صورة لذلك اللقاء. كانت الغرفة الكبيرة الفارغة مظللة، تئز فيها المروحة الكهربائية برتابة.. وكان الملك يرتدي ألبسة بيضاً مع كوفية كتان بديعة تغطي رأسه، وكان الجو.. الجو.. العاطفي لكل ذلك؟

لقد بدأت بتوجيه سؤال له عما كان يعتقد باخلاصي الشخصي وحبي الشديد له.. وفي موضوع الكلام هذا حصلت بيننا مناقشة عنيفة قبل يدي خلالها في فترات متقطعة، وهو امر مربك محير جداً..!! وحينما حاولت ان اقبل يده عند الخروج احتضنني بحرارة.!!».

٢٤ حزيران (يونيو) ١٩٢٢

«ذهبت في اليوم التالي لتناول الشاي مع الملك، فجرى بيننا حديث ممتع للغاية...

واذا قدر الله فحشرنا يوم الدينونة فيمكنكم ان تتأكدوا من اننا سوف نصنف في النهاية على اساس اعلى ما كنا قد وصلنا اليه في هذا العالم الفاني..

وستكون مكانة فيصل في ذلك اليوم عالية جداً، حيث ستحمله الامواج مخترقة ذلك الشاطىء السماوي حتى توصله الى اعلى ما يمكن.. وحينما يجزر المد ثانية يكون قد وصل الى المكان الذي وصل اليه مخلفاً اثره في ذلك الساحل الذهبي..

وقد جلست استمع اليه باهتمام يقطع الانفاس.!! كان الحديث عبارة عن هبة للتاريخ، لكن ما لااستطيع استنساخه هو نفسيته، ولو كان بوسعك ان تنظر اليه يتكلم لمدة خمس دقائق لامكنك فهم ذلك- وجهه الضيق المتلهف، الذي تنعكس فيه كل دورة من دورات فكره، وتحرك تقاسيم وجهه المدهش وعيون الرجل المثالي اللماعة التي يزداد عمقها بالحزن وخيبة الامل الخالية مع هذا من اي لوم او تأنيب..».

كرترود

٦ تموز (يوليو) ١٩٢٢

«وأخيراً.. اي بعد ساعتين من الحور (مع الملك) عانقني وهو مشبوب العاطفة، وافترقنا بحالة تكاد تكون غير مرضية من الاتصال العاطفي الوثيق..».

كرترود

أرادت المس بيل تقوية علاقتها بالملكة، وبموافقة فيصل وتشجيعه، فعينت نفسها وصيفة شرف لها وبذلك فتحت لنفسها أبواب البيت الملكي الى جانب البلاط.. الا ان هذه العلاقة لم تستمر بعد ان شعرت الملكة بعمق الصلة بين المس بيل وفيصل.. فكتبت بيل عن مشاعرها:

١٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٤

«وصلت يوم امس الملكة والاسرة بأجمعها عدا الملك علي.. لم ار اية واحدة منهم بعد، لكن خابرت تلفونياً صباح اليوم التالي انصياعاً للواجب فسألت عنهن: اظن ان الملك مكتئب جداً بقدومهم.. وبالنظر لانه موجود في الخارج وسيبقى هناك اسبوعاً اخر فان ساعة النحس لم تأت بعد..»

كرترود

٢٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٤

«وقع لي يوم امس حادث طريف- ذهبت لزيارة الملكة.. وكانت تلبس رداءً طويلاً بني اللون خاطته لها الراهبات..»

كرترود

٣١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٤

«استدعاني الملك يوم الاثنين ليبحث معي الترتيبات التي يجب ان تتخذ بالنسبة لمنزل الملكة واقامتها.. وقد سررت لانه استشارني

وهكذا أصبحت منشئة لبلاطٍ جديد...».

كرترود

لقد حاولت بيل، وبصورة شبه قسرية، فرض اسلوب (المعيشة) والملبس الغربي على العائلة المالكة، ولكن دوماً كانت تجد حزيمة متمسكة بعاداتها الحجازية العربية الاصيلة التي تختلف كلياً من حيث المظهر والملبس عما تريده لهن هي والملك.. وكان لتمسك الملكة بالشعائر الدينية العامل المؤثر في احباط محاولات هذه (البنت الافرنجية) كما كانت تسميها.. وعلى اثر وفاة ابنتها الكبرى الاميرة رفيعة، قامت بزيارة العتبات المقدسة في الكاظمية وكربلاء والنجف، واستمرت في اقامته للعشرة الاولى من كل محرم ولمدة خمسة اعوام متتابعة، توزع فيها كل ليلة الطعام على الفقراء، ويؤم مجلسها سيدات المجتمع البغدادي بسائر طبقاته... وقد انشغلت قبل ذلك بمرض ابنتها بعد ان تدهورت صحتها، فكرست لها كل وقتها وانقطعت عن المجتمع بعد وفاتها..

حينما وصلت الملكة الى بغداد، كان الجو مشحوناً بينها وبين زوجها الملك بسبب زواجه من سيدة فراتية كانت هي تعيره بزيجته هذه انه (زوج الفلاحة)، فأراد التخلص من هذه الاجواء عن طريق فتح باب بيته لكي تطلع زوجته على العالم الخارجي.. فطلب مشوره جاره في المحلة ياسين الهاشمي الذي الذي كانت داره تقع على بعد امتار من البيت الملكي، فطلب منه ان تقوم زوجته بزيارة الملكة وتتفقدها وتقدم لها المعونة للتعرف على خياطة للالبسة النسائية، لكي تعد للاميرات وامهن الالبسة الملائمة للحياة الجديدة في بغداد.

اخذت الملكة تستقبل وبصورة محدودة بعض سيدات المجتمع العراقي، ونساء المشايخ وزوجات كبار ضباط الجيش العراقي والبريطاني.. في هذه الاثناء قام ياسين بدوه، كما طلب منه فيصل، وبوساطة صديقه الحاج سليم، والذي اصبح فيما بعد المدرس الخاص للامير غازي وللاميرات في موضوع الرسم، والحاج سليم هو والد الرسام والنحات جواد سليم، وكان له قريب يدعى محمود الخياط المشهور يومذاك في محلة الفضل بخياطة الالبسة الرجالية الراقية، كما ان زوجته وبناته اشتهرن بهذه الصنعة واقتنائها لسيدات المجتمع البغدادي من(العصملي)، وغدت (الخياطة) هذه هي الاثيرة والمفضلة لدى الملكة حزيمة ضمن حاشيتها.

وكان لها الى جانب بنتيها مديحة، التي تزوجت ابن عمها الحاج سعاد سليم الرسام الكاريكاتوري في وزارة الدفاع، وصبيحة التي استمرت علاقتها مع الاميرات الى ما بعد وفاة الملكة حزيمة، ثلاث اولاد هم: عبد الوهاب محمود الذي كان مدرساً للاجتماعيات في المدرسة المأمونية، وعبد الكريم محمود الذي خدم في وزارة الخارجية، واصغرهم سناً هو عبد الجبار محمود الذي اشتغل مدرساً للرسم في الثانوية المركزية، ثم دخل الكلية العسكرية وتخرج فيها برتبة ملازم في صدر الثلاثينيات، ثم انتقل فيما بعد الى القوة الجوية، واصبح فيما بعد طياراً خاصاً للملك غازي وصهراً له بعد ان تزوج شقيقته الاميرة راجحة.

كانت حزيمة عصبية المزاج قوية الارادة شديدة التمسك بالدين، وفي معزل عن زوجها الملك فيصل الذي كان يصارع في البلاط مختلف الازمات والمتاعب التي تثار في طريقه وتنغص حياته اليومية لتنعكس على علاقته مع زوجته التي لم تأبه بما يعانيه في عمله.. فاذا ما اوى الى بيته ينشد الراحة كانت الاجواء تدفعه الى اللجوء الى البلاط لقضاء اماسيه، او الى بيت الحارثية للقاء مس بيل لتنسيه متاعب اليوم وهمومه..

وتخلصاً من ارصاد زوجته وحاشيته المتملقة اشترى مزرعة في جوار مدينة خانقين بالقرب من بعقوبة، وابتنى له فيها بيتاً بسيطاً اتخذه منتجعاً لقضاء ايام الجمعة في الصيد ومتنفساً روحياً حراً لعلاقته العاطفية مع المس بيل، حيث كانت تلحق به من بغداد لتقضي معه (ساعات ممتعة) كما وصفتها (في حوار ليس فيه كلام السياسة..).

وقد استرسلت المس بيل بالافصاح عن مشاعرها، في رسائلها وما كانت تحمله من هواجس جياشة من العاطفة الروحية تجاه فيصل، خاصة في ساعات الانفراد به في المزرعة:

٧ تشرين الاول (أكتوبر) ١٩٢٤

«قضيت يوماً ممتعاً مع الملك في مزرعته (في خانقين).. بعد ان التحقت به هناك، قمنا باصطياد طيور الدراج معاً بكل غبطة وسرور.. كان الجو حاراً وشعرت بحرارته في جسدي.. فعدت الى خيمتي وخلعت جميع ما امكنني خلعه من ملابسي، وفتحت جانبي الخيمة ثم تمددت بارتخاء في فراشي..

وتعشينا معاً تحت النجوم، فقص علي الملك كيف كان يشعر بالوحدة.. وكيف كان سيبقى وحده تماماً لو لم اصل اليه..!!

كنت مسرورة لكوني اتيت، اضف لهذا اني قد استمتعت كثيراً بقدومي، فأنا ايضاً كنت اشعر مثل السجين الهارب من سجنه..»

كرترود

بعد عودتها من خانقين دعاها فيصل لمرافقته لمشاهدة فيلم انكليزي في سينما رويال بشارع الرشيد، وقد كتبت عن هذه الامسية:

(انا وفيصل قضينا سهرة ممتعة في عرض سينمائي. لقد ضحك الملك كثيراً كثيراً.. وبعد انتهاء العرض اوصلني بعربته وكان بجانبي يطوقني بشدة بذراعه حول خصري.. وعلق قائلاً ان هذه اللحظات تذكره بأماسي لندن معها..!!)

كرترود

ثم تعود لتكتب عن لقائها الملك في مزرعته

١٠ اذار (مارس) ١٩٢٦

«سافرت مساء الخميس الماضي الى خانقين لاقضي يوم الجمعة مع الملك.. وفي الصباح كنت منشغلة مع احد النجارين لاختيار اقمشة الاثاث وترتيبها...

تغدينا مبكراً وقضينا فترة بعد الظهر نتجول راكبين جيادنا.. وعند عودتنا كانت غرفة الاستقبال وغرفتان من غرف النوم قد تم ترتيبها..»

كرترود

٢٢ نيسان (ابريل) ١٩٢٦

«طلب مني الملك ان اذهب معه مبكراً الى مزرعته في خانقين لنقضي عطلة عيد الفطر، وقد يصادف يوم السبت الا ان جلالته يستعجلني لنغادر يوم الجمعة.. ولهذا فانني سألبي رغبته لانني بحاجة للاستراحة..»

كرترود

واستمرت هذه العلاقة الحميمية بينهما حتى وفاتها. وما قيل بعد مماتها بانها انتحرت بسبب انصراف فيصل عنها، وربما كان ذلك فيه شيء من الصحة لتزايد المنافسات عليه.

وبرحيلها انصرف نحو غيرها تعويضاً عن الفراغ الذي تركته في حياته. كما كان له اكثر من صداقة في خارج العراق. فآخر من كان بمعيتها صديقته الاسكندرانية الاميرة المصرية لودي لطف الله، التي كان يلتقيها اثناء زياراته المتعددة الى اوروبا.

وفي سويسرا كانت بصحبته فكتورين صادق، الهندية الاصل، والتي ورد اسمها مع المشتبه بهم بقتله في انها دست السم له عندما تناولت طعام الغداء معه بساعة قبيل موته المفاجئ..!!

الملك مع عائلته

اخر صورة للملك فيصل الاول وهو مسجى

شخصيات في ذاكرة العراق

حسون الأمريكي تحدى تقاليد المجتمع

من الظواهر التي عرفتها بغداد، في الخمسينيات من القرن الماضي، ظاهرة حسون الأمريكي كما لقبه البغداديون في ذلك الزمن.. شاهدته عصراً في شارع السعدون، نبهني اليه المرحوم اسماعيل فتاح الترك، قال هذا (حسون الأمريكي) وكان يمتطي دراجة سباقٍ ويرتدي بنطلوناً شورت وقميصاً مزركشاً، وخوذة واقية، وجوارب مقلمة أشبه بجوارب لاعبي كرة القدم ايام زمان.. بعد أيام شاهدته في الشارع يقود كلباً ويرتدي بنطلوناً جيني وقبعة الكاوبوي، وحذاءه المشهور المعقوف من الامام يدعوه (چم چم) وأحياناً يظهر في الشارع يرتدي بنطلوناً فاتح اللون وسترة غامقة.. في الستينيات ضيّفه التلفزيون بصحبة دراجته وبزيه المعتاد، وقد حاوره مقدم البرنامج.. وأجاب على اسئلته شارحاً وجهة نظره في زيّه، واعتبره الزي العصري المتمدن، ثم شارك في تمثيلية عرضت في التلفزيون، ألفت خاصة به، حيث جرى الحوار بينه وبين أبيه في التمثيلية، وطرح فكرته عن تصرفه وملبسه، ودعا الشباب الى ان يتمتعوا بحريتهم العصرية، من دون الاعتداء على حرية الآخرين.. وانتقد تصرفات المراهقين في السينما والشارع وتحرشهم بالفتيات: ان تصرفات حسون الأمريكي تعد تحدياً لذلك العصر وتظاهرة سلمية. واعتزل الناس هروباً من تعليقاتهم الساخرة، والمؤلمة أحياناً، ولكنه أصر على تحديهم، لاعتقاده انه يتمتع بحريته الشخصية، التي تساير العصر المتمدن.. وصار حسون الأمريكي من ظرفاء بغداد المشهورين وتناولت الصحف سيرته: انه حسون بن كاظم بن عيسى العبيدي من مواليد ١٩٢٩ وتوفى ١٩٨٥.

حسون امريكي في اقصى اليسار

الطوابع العراقية.. بدايتها وأهم إصداراتها

في عَام ١٩١٧ صدر أول طابع عثماني باسم بغداد تحت الاحتلال البريطاني للعراق والذي صدر باللغة الانكليزية. وفي عام ١٩١٨ صدر طابع عثماني موشح بعبارة الموصل تحت الاحتلال البريطاني عام ١٩٢٣ وكذلك صدرت طوابع عراقية مطبوعة في انكلترا يظهر عليها بعض المناظر والمراقد الدينية العراقية. وقد حددت أسعار هذه الطوابع بالعملة الهندية (الروبية). وفي عام ١٩٣١ صدر طابع يحمل صورة الملك فيصل الأول أيضاً ولكن بالعملة العراقية (الفلس والدينار).

وفي سنة ١٩٤١ صدرت طوابع تحمل آثاراً عراقية منقوشا عليها (أسد بابل) وملوية سامراء، ومنشآت نفطية إضافة الى صورة الملك فيصل الأول يبدو ان الطابع الأول غير موجود وسعره في ذلك الوقت (٢٥) روبية.. أما الطوابع الحديثة، فقد صدرت ونقشت عليها أهم المعالم الحضارية ورؤساء الدول والسدود وكذلك الرياضيون المشهورون في تلك الدولة.. وكذلك العلماء.. من العهد الملكي وحتى يومنا هذا.